

عن فلسطين وعن الديانة اليهودية ، وشهدت اول تنظيم لها في المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة « بازل » بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وهو المؤتمر الذي ينسب اليه زعيم الحركة الصهيونية ومؤسسها ثيودور هرتزل ، مولد الدولة اليهودية (٢) .

كانت أوروبا انذاك تغلي بنتيجة الحدث الكبير الذي غير وجه القارة وقفز بها من العصر الإقطاعي البدائي الى عصر تشكل وسيطرة الطبقة البرجوازية ، وبروز هذه الطبقة كقوة تاريخية جديدة استطاعت تحطيم الاقطاعية ونظاميها الاقتصادي والاجتماعي ، واقامة علاقات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وإحلال نمط جديد من العلاقات الإنتاجية والاجتماعية ، يستبد مقوماته الأساسية من تحطيم الإنتاج الطبيعي البدائي للعصر الإقطاعي ، وتركيز نمط الإنتاج التبادلي والإنتاج البضاعي مكانه ، وبالتالي إخضاع الريف والأرض لمتطلبات السوق ، والحاجة الى توسيع هذه السوق وضمان استقرارها بما يتوازى ويتكامل مع توسيع الإنتاج وضمان تصريفه ، مما يتطلب بالضرورة القضاء نهائياً على التبعض الإقطاعي والغاء الحواجز والحدود الكمية بإيجاد سوق مستقلة واسعة وحررة .

هذه الثورة الاقتصادية والاجتماعية التي قادتها البرجوازية ضد الإقطاعية ولمصلحة التقدم في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي ، كان لا بد لها أن تجد انعكاسها في الحقلين السياسي والفكري .

وهكذا كان النجاج الطبيعي لهذه الثورة البرجوازية ظهور فكرة القومية ، والدولة القومية البرجوازية التي استمدت مبررها المادي والاساسي من حاجة البرجوازية النامية والمندمجة باستمرار الى امام ، الى تأمين سوق وطنية مستقلة خاصة بها ، والتي تلازم ظهورها عبر التاريخ مع نمو قوى الرأسمالية وقدرتها على تحطيم الإقطاعية . « في العالم كله كان عهد انتصار الرأسمالية التام على الإقطاعية مقترنا بالحركات القومية . ان اساس تلك الحركات الاقتصادية يقوم على ان تفوق الإنتاج البضاعي تفوقا تاما يتطلب استيلاء البرجوازية على السوق الداخلية وتوحيد الأراضي التي يتكلم سكانها لغة واحدة في دولة واحدة » (٣) . « وهكذا فالسعي الى اقامة دولة قومية تستجيب على الوجه الاكمل لمتطلبات الرأسمالية الحديثة هذه . هو أمر ملازم لكل حركة قومية ، وتدفع الى ذلك اعقق العوامل الاقتصادية ، ومن هنا يبدو ان الميزة النموذجية والشئ الطبيعي في المرحلة الرأسمالية هو قيام الدولة القومية في أوروبا الغربية كلها بل في العالم المتهدن كله » (٤) .

اذن كان العصر الذي ظهرت فيه الحركة الصهيونية ، عصر انتصار الطبقة الرأسمالية والبحث عن سوق مستقلة وطنية خاصة بها وظهور فكرة القومية البرجوازية كتعبير عن الحاجة الى سوق مستقلة حرة تضمن استمرار تدفق الإنتاج البضاعي وبالتالي نمو الطبقة القائدة للمجتمع في هذا العصر . كما كانت الشرائح الاجتماعية اليهودية في هذا العصر متشكلة تاريخيا كباقي الشرائح الاجتماعية الأخرى ، بمعنى انه كانت هناك البرجوازية اليهودية والبروليتاريا اليهودية ، ولم يكن هناك لسوء الحظ ، الإقطاعية اليهودية ، لان اليهود — كما هو معلوم تاريخيا — لم يكن لهم على مر العصور حق امتلاك الأرض والتصرف بها ، وهو الحق الذي كان مقصورا على طبقة النبلاء والاشراف ورجال الدين المسيحيين ، مما اضطرهم الى التعامل برأس المال المسائل أي المال والاملاك المنقولة ، وكانت هذه المهنة الاجتماعية حكرها لهم لسببين :

١ - تحريم امتلاك اليهود للأرض وحصر هذا الامتلاك بالمسيحيين ، النبلاء والاشراف ورجال الدين منهم خاصة .